التخطيط المستدام كمدخل لمواجهة المتغيرات المتسارعة في مدينة القرن ٢١ – (دراسة حالة مدينة الرياض)

د.محسن صلاح الدين يوسف
أستاذ مساعد – قسم التخطيط العمراني – كلية العمارة والتخطيط
جامعة الملك سعود، الرياض – ١١٥٧٤ المملكة العربية السعودية
drmohsen08@gmail.Com

ملخص:
تركز هذه الورقة البحثية على قضية استدامة عملية التخطيط العمراني كمدخل لتطوير مفهوم الإدارة والتحكم فى العمران ، ولتحقيق قيم الاستدامة فى عمران مدينة القرن ٢١ كفرضية رئيسية . وتتحدد إشكالية البحث فى طريقة النظر للمدينة باعتبارها منظومة إيكولوجية متكاملة ومستدامة ، مما يتطلب ضرورة إيجاد آلية جديدة لعملية التخطيط العمراني ، بحيث تتصف بأقصى درجات المرونة والتحرر والاستدامة فى اتخاذ القرارات التخطيطية ، وذلك كبديل لأشكال المخططات التقليدية التى سادت خلال القرن ٢٠ منذ تطبيق مفهوم التخطيط الشامل والتي اتسمت بالجمود واللحظية والتسلطية والفردية ، و أدت أغلبها لتلاشى قيم الاستدامة من عمران المدينة خلال القرن السابق بأكمله . بوجه عام ومدى ارتباطها بقضية تطوير عملية إدارة العمران على وجه الخصوص ، وتناولت بعد ذلك رصدا لأبرز خصائص الاستدامة فى المجتمعات التقليدية قبل العصر الصناعي ، والاتجاهات والتقنيات الحديثة التى تسعى لتحقيق الاستدامة فى عمران المدينة . و للتأكد من الفرضية ومدى مصداقيتها فقد تم قياس تطور مفهوم الاستدامة من خلال الرصد التاريخي لتطور مدينة الرياض وتطور عملية تخطيطها خلال القرن ٢٠ وخاصة منذ الأربعينيات والخمسينيات وحتى الوقت الراهن. وقد أمكن من خلال التحليل والمناقشة ، تحديد موضع القصور فى عملية التخطيط العمراني ، مما مهد السبيل للوصول لمدخل يمكن من خلاله تحقيق أقصى درجات المرونة والاستدامة فى عمران المدينة بالقرن ٢١ كنتيجة رئيسية تتبعها عدة توصيات هامة لتحقيق الوصول لكفاءة عالية فى تطبيق المدخل المقترح .

١- المدخل التمهيدي: المفهوم والإشكالية والفرضية.

١-١ قيم الاستدامة ومفهوم المدن المستدامة

تعرف الاستدامة (Sustainability) عامة بالقدرة على الحفاظ على حالة أو عملية معينة ، وهى تستخدم فى الوقت الراهن بشكل متكرر بربطها بالمنظومات الحيوية والإنسانية . ويمكن تعريفها من وجهة النظر الإيكولوجية : بقدرة المنظومة الحيوية على المحافظة على نظامها الإيكولوجي ووظائفها وعلى تنوعها البيولوجي وإنتاجيتها للمستقبل [١٩] . وقد تحول مفهوم « الاستدامة « إلى مصطلح شديد التعقيد بحيث يمكن تطبيقه على كل أوجه الحياة على الأرض، فهو يستخدم فى الأنظمة البيولوجية التى تعيش فى المستنقعات أو البراري و الغابات ، مثلما يستخدم للتعبير عن المنظومات الإنسانية المتباينة مثل : القرى الإيكولوجية والبلديات الإيكولوجية والمدن المستدامة ، كما يستخدم للتعبير عن منظومات الأنشطة الإنسانية مثل الزراعة المستدامة والعمارة المستدامة وغيرها . وقد بدأت ترتبط فكرة الاستدامة الإنسانية منذ الثمانينيات بالمجالات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، و عرفت لجنة بروندتلاند عام١٩٨٩ [٢٥] المفهوم الأكثر شيوعا عن الاستدامة ، بأنها مواجهة الاحتياجات الحالية بدون التأثير على قدرة الأجيال المستقبلية فى الحصول على احتياجاتها. كما عرفت الاستدامة عام١٩٩١ [١٦] بأنها تحسين أحوال الحياة الإنسانية ، مع مراعاة العيش فى إطار الطاقة الاستيعابية للمنظومات الايكولوجية المحيطة ، وتقوم الاستدامة على ثلاثة أركان رئيسة هي النواحي الاجتماعية والاقتصادية والبيئية ومن خلال تلك الأركان تتحدد القيم الأساسية للاستدامة (Adams, W.M 2006.) كما يلي:

١- العدالة الاجتماعية الاقتصادية .

٢- القابلية للتطبيق من الناحية الاقتصادية البيئية .

٣- القدرة على التحمل من الناحية الاجتماعية البيئية .

فالقيم تعتبر الهدف الأسمى للاستدامة حيث عرفت بأنها "حوار حول القيم" ، كما حدد « دستور الأرض « [٢١] القيم الأساسية التى يجب أن يسعى إليها المجتمع الدولي وهى : احترام الطبيعة ، والحقوق المدنية ، والعدالة الاقتصادية ، وثقافة السلام . وعليه فيجب على سكان الأرض إعلان مسؤولياتهم تجاه الآخر وتجاه المجتمع الأكبر وتجاه الأجيال القادمة . ومنذ نهايات القرن ٢٠ زادت أهمية المبادرات التى تسعى لتحقيق قيم الاستدامة و ظهرت مفاهيم جديدة تهدف لتحقيق تلك القيم (Costanza R. 2003) كالتكنولوجيا البيئية والاقتصاديات الإيكولوجية ، كما انتشرت فى مجال التخطيط والتصميم العمراني مفاهيم مثل النمو الذكي و العمران الجديد ، و البصمة الإيكولوجية ، ومبادئ التصميم الأخضر والمدن المستدامة وغيرها. وقد عرف (Wheeler ,S. 1998) التنمية العمرانية المستدامة بأنها ما يؤدى لتحسين حالة المدن الإجتماعية والايكولوجية على المدى البعيد. وذهب فى ذلك لوضع إطارا يساعد على الوصول للمدينة المستدامة ، ويشمل أن تكون مدمجة وذات كفاءة فى توزيع استعمالات الأراضي ، قليلة الاعتماد على السيارة رغم سهولة الوصول لجميع أجزاءها ، تحقق الكفاءة فى استغلال الموارد المتاحة ، محدودة التلوث والمخلفات ، وتحافظ على المنظومة الطبيعية المحيطة ، وتحتوى على إسكان وبيئة معيشية جيدة ، ومنظومة ايكولوجيا اجتماعية صحية ، واقتصاديات مستدامة ، وتفاعل وشراكة مجتمعية ، ومحافظة على الثقافة المحلية.

١-٢ إشكالية البحث:

لاشك أن موجات رد الفعل التى ظهرت فى نهايات القرن ٢٠ تجاه مخططات استعمالات الأراضي الجامدة وفكر

التخطيـط الشـامل (Comprehensive Planning) ، والتـي تمثلـت فى التيارات الحديثة والأفكار والشـعارات التى ترفعها أغلب المدارس التخطيطية حول إصـباغ الصـفة الإنسـانية على المدينة أو بناء مدن صـديقة للمشـاة أو مدن بدون سـيارات أو مدن خضـراء ، أو عمران جديد ، أو مدن إيكولوجية أو عضـوية أو غير ذلك . بالإضافة لأفكار الاستدامة ، ودعوات المحافظة على البيئة ، وزيادة الاهتمام بدراسات التأثير البيئي للحد من الآثار السلبية العديدة التى أدت إليها أشـكال التنمية العمرانية المعاصـرة ، تعكس كلها فكرة رئيسـية ومحددة وهى قصـور أدوات ومناهج التخطيط السـائدة خلال القرن السـابق بأكمله . والراصد لتلك التطورات يلاحظ أن هناك قضيتين أساسيتين تدور حولهمـا كافـة أفكار التطويـر المنهجي التى يطرحها المفكـرون وهما : دعم وزيادة البعد الإنسـاني ومجالات الإبداع الفـردي والمجتمعي على مسـتوى المدينـة ، وتحرير مناهج التخطيط العمراني من السـيطرة والتسـلط والجمود فى اتخاذ القرارات . لذا فالمشكلة التي تواجه التخطيط العمراني للمدينة فى القرن ٢١من وجهة نظر البحث تتمثل فى تحديين رئيسيين هما :

• تغير مفهوم الزمن فى عصر الحضارة الرقمية : فالمدى الزمني لأي رؤية تخطيطية في عصر ما قبل الصناعة كان ممتدا لمئات الأعوام ، نتيجة لثبات شكل النمو العمراني للمجتمعات التقليدية ، وفى عصر الصناعة تقلص المدى الزمني للرؤى التخطيطية لفترة ٢٥ عاما ، بينما تشـهد المدن فى العصـر الراهن حالة من التغير المسـتدام فى شكل وأنماط النمو العمراني بحيث أصبح التغير حالة ثابتة ويحدث بشكل شبه سنوي فى بعض الأحيان.

• تغير مفهوم اسـتعمالات الاراضـى فـى المدينة من حالة التجانـس (Homogeneity) السـائدة فى القرن ٢٠ إلى حالـة مـن التباين والتنوع (Heterogeneity) المرغوب لتحقيق الحيوية فـى الحياة الاجتماعية للمدينة ، مما يستحيل معه تثبيت مخططات استعمالات أراضى المدن لفترات بعيدة المدى .

والتحديات السابقة ترتبط بشكل أساسي بقضية منهج وأدوات التخطيط المستخدمة ، لذلك يناقش البحث قضية التحكم والضـبط في إدارة عملية التنمية العمرانية (Governance) وتأثيرها على قيم الاسـتدامة في مدينة القرن ٢١ ، وكيفية تطوير عملية الضـبط بحيث تتيح اعلي فرص التفاعل المجتمعي والبيئي مع المنتج العمراني المسـتهدف وبما يحقق أقصي خيارات وقيم الاستدامة المنشودة .

١-٣ فرضية البحث:

لاشـك أن العصـر الحديث ومـع بدايات القرن ٢١ وبلا جدال هو عصـر الجودة والإبـداع والتركيز على النوعية وهى من القيم الأساسـية للاسـتدامة التى تستهدفها كل الفئات المختصة بشؤون التنمية ، فى حين سيطرت القضايا الكمية على العصر الصناعي الذي اتسم بالمادية واللاإنسانية وعدم الاستدامة . ويطرح البحث فرضية إنه لا يمكن تحقيق قيم الاسـتدامة فى المجتمعات العمرانية فقط من خلال تأصـيل تلك القيم فى النموذج العمراني الذي يسعى لتحقيقه المخطط العمراني ، وإنما يتطلب أيضـا النظر لعملية التخطيط باعتبارها أداة لتهيئة البيئة العمرانية للنمو الإنسـاني الطبيعي ، مثلها في ذلك مثل كافة المنظومات الايكولوجية الطبيعية ، وأن السـبيل لذلك لا يمكن تحقيقه إلا من خلال تطوير عملية التخطيط العمراني لتصبح آلية مستدامة وغير منتهية (Sustainable and open-ended process) وقـد ظهرت الحاجة لذلك المنهج فى العصـر الراهن نتيجة لتزايد الحاجة لتحقيق الاسـتدامة فى المدن و لظهور المتغيرات المتسـارعة التى تشـهدها المدن فى عصـر المعلوماتية ، على عكس حالة الثبات النسـبي لمجتمعات العصر الصناعي ، وحالة الثبات والاستقرار المطلق لمجتمعات العصر الزراعي .

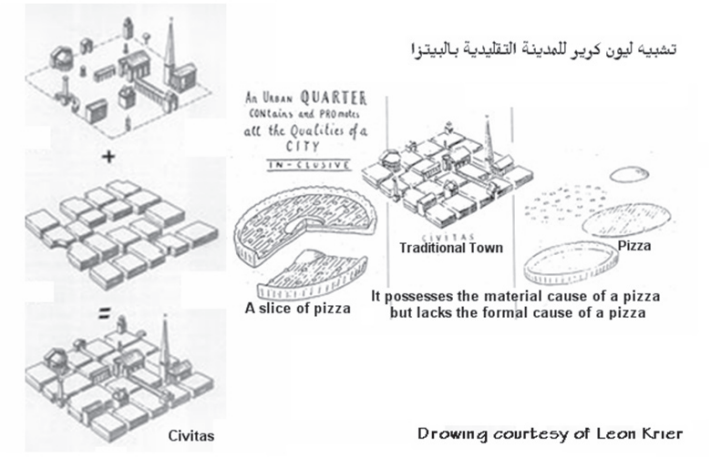
والمنهج الذي يتناوله البحث لقياس صحة الفرضية يبدأ برصد الآليات التى حققت قيم الاستدامة فى المدن التقليدية ، والاتجاهـات والتقنيات الحديثة والتي يمكن من خلالها محاكاة عملية بناء المدن التقليدية لتحقيق قيم الاسـتدامة المستهدفة فى مدينة القرن ٢١ . ويتناول بعد ذلك رصد وتقييم تجارب التخطيط العمراني التى مرت على مدينة الرياض خلال الخمسـون عاما السـابقة ، باعتبارها نموذجا مثاليا للتأكد من مدي ملائمة الطرح المقدم فى الورقة البحثية ، لما شهدته الرياض من سرعة فى النمو وتعدد وتكرار التجارب التخطيطية التي مرت بها المدينة ، وخاصة منذ إعداد مخطط دوكسيادس فى عام ١٩٧٣ وحتى مرحلة التخطيط الاستراتيجي التى تشهدها المدينة فى العقد الأخير . ومن خلال مناقشة الفرضية المطروحة والسلبيات التى واجهت عملية التخطيط العمراني فى القرن ٢٠ ، ينتهي البحث إلى صياغة إطار عال المرونة تستديم فيه عملية التخطيط وتتشارك فى صياغته كل الأطراف المسئولة عن تنمية المدينة .

٢- قيم الاستدامة فى نمو المجتمعات التقليدية

تميـزت عملية نمو و"ليس تنمية" المدينة التقليدية بإدمـاج عملية التخطيط والتنفيذ في عملية الخلق والابتكار والإبداع الإنسـاني اليومـي مما كان له أبلغ الأثر في الارتقاء بعمران المدينة وطابعهـا الفريد النابع من الروح المحلية الكامنة ، فارتقت عملية التخطيط العمراني المكتبي ثنائية الأبعاد "وليد القرن العشرين" إلي مرتبة التشكيل العمراني الواقعـي ثلاثـي الأبعـاد في الفراغ والذى إرتجلته بشـكل إبداعي أغلب الحضـارات . وقد أدي ذلـك إلي نوعا ما من "الاستدامة التخطيطية" من خلال استغراق عملية التخطيط بالمدينة التقليدية لفترة زمنية تكاد تساوي نفس فترة بناء المدينة وتتوازي معها ، مما أعطي للبنائين "وليس المخططين" الفرصة والاستمرارية وكامل الحرية في إيجاد حلول للمشـكلات التخطيطية على الطبيعة وكل منها بمفردها وفى الوقت الملائم ، وذلك من خلال استدامة عملية المتابعة والمراقبة والمعايشة والخلق والإبداع في إطار النسيج العضوي العام للمدينة . وبالرغم من أن تخطيط المدينة التقليدية لم يكن يتم دفعة واحدة بكافة أنحاء المدينة في صورة مخطط عام أو " مسقط شامل كبير " كما كان يحدث في المدينة الإغريقية أو الرومانية أو الباروكية ، إلا أن المبدأ الذي حكم ذلك النمو ووحده عضويا كان مبنيا علي إيجاد نوعا ما من التوازنات بين ضـرورات وقيود وثوابت المصلحة العامة للمجتمع والتحررية الإبداعية الذاتية للأفراد والمجموعات .

وعلاوة على ذلك فإن افتقار أغلب أشـكال التنمية العمرانية فى القرن (٢٠) لقيم الاسـتدامة ، كان نتيجة للميل المطلـق للعقلانية الزائدة والمجردة ونتيجة لخلو تلـك التجارب التنموية من العمق الروحي الكامن فى الأعمال الفنية رفيعة المسـتوى ، والذى نتج عن مبدأ الفصـل التام بين اسـتعمالات الأراضـي كما أكدت على ذلك چين چاكوب منذ نحو نصـف قرن (Jacobs,J.1961). وتلك الفكرة عبر عنها ليون كرير (Krier L., 1998) – فى بلاغة مقارنة و سـخرية مقاربة ومبالغة – حينما وصـف المجاورة السكنية بالمدينة الأوروبية التقليدية ، بأنها كانت تبدو « كقطعة من فطيرة البيتزا» شكل (١) ، فقد كانت هى الجزء الذي يمثل ويحوى كافة المكونات والخصائص الأساسية للكل ، وعلى النقيض منها جاء التخطيط العمراني فى القرن العشرين بفكرة الفصل التام بين الاستعمالات طبقا لقواعد تخطيط المناطق (Zoning) ، مما يحاكى فصـل كل مكونات البيتزا عن بعضـها ، ليحمل الناتج من تلك العملية كل عناصـر و مكونات البيتزا ، ولكنها ليسـت ببيتزا ، لأنها لم تحاكى الطريقة السـحرية لخلط ومزج المكونات على نار هادئة لتأخذ المذاق الخاص والمميز للبيتزا ! و من أبرز قيم الاسـتدامة التي تضـمنها العمران التقليدي (Bess Ph., 2003) هى الحجم الإنسـاني للوحدة التخطيطية والذى تحدد بمسـافة سير «نصف ميل» وزمن سير «عشرة دقائق» ومسطح «١٢٠:١٥٠ أكر» مع الخلط في استعمالات الأراضي وسيادة العمران منخفض الارتفاع .

وبالنسبة للمدينة العربية فقد حددت العديد من الدراسات مجموعة من الخصائص العمرانية والتي أعطت



شكل (١) تشبيه ليون كرير للمدينة التقليدية بفطيرة البيتزا

للمجتمع التقليدي بالمدن العربية خصوصيته واستدامته ، ولعل أبرزها مايلى (أكبر،٢٠٠٥):

- الاستقلالية فى إدارة الشؤون المحلية.
- العضوية فى النمو النابع من البيئة والإلمام بأحوال المجتمع.
- التكاتف الاجتماعي فى بناء المسكن على اختلاف دخل الأسرة.
- الملكية التقليدية للأراضي باعتبارها مورد إجتماعى .
- الحس الجماعي بالمسؤولية نحو توفير الخدمات والمرافق .

وقد كان لتنامي ظاهرة التحضر وانتشار وشعبية السيارات الخاصة منذ أوائل القرن الماضي أبلغ الأثر فى توجيه التخطيط العمراني للمدن نحو حالة من السيطرة والضبط الزائد لمراعاة ضوابط وقوانين ومعايير تسهيل حركة السيارة . كأحجام وكثافات المرور وعروض الطرق ومستوياتها وغير ذلك. مما جمد التخطيط العمراني وحوله إلى عملية تجزيء موديولية نمطية وقولبة لكل مفردات العمران بدءا من الفصل التام بين استعمالات الاراضى ، ومرورا بتحديد نطاقات ثابتة لكافة العناصر و الخدمات ، وتنميط شكل النسيج العمراني وتوحيد قوانين وأشكال ومواصفات المباني وغير ذلك ، علاوة على الجهود التى بذلت فقط لإيجاد حلول منطقية وعلمية وحسابية لكافة المشكلات الكمية دون النوعية بالمدن . وتحول فكر وممارسة التخطيط العمراني إلى نوعا ما من الغلو والتسلطية الهادفة لوضع قوالب وقوانين تنظيمية مفروضة وثابتة أو قواعد أكاديمية جامدة تتحكم فى عمليات التنمية العمرانية بكافة مستوياتها وأشكالها وتفاصيلها . وأصبح التخطيط العمراني الجيد فى القرن الماضي هو ما يلتزم بكل القواعد والقوانين والمعايير المادية ، وذلك دون النظر لأي عوامل إنسانية ضرورية لممارسة الحياة الطبيعية المستدامة للمجتمع الإنساني . مما يتطلب ضرورة البحث عن أساليب وتقنيات جديدة يمكن من خلالها تحقيق قيم الاستدامة المستهدفة.

٣- قيم الاستدامة فى التيارات التخطيطية والتصميمية المعاصرة .

٣-١ الاتجاهات الحديثة فى أنماط العمران :

لاشك أن الاتجاهات الحديثة فى أنماط العمران ، والتي بدأت تظهر مع نهايات القرن ٢٠ تحوى العديد من قيم الاستدامة ، ولعل من أبرز تلك الاتجاهات كل من اتجاه النمو الذكي والعمران الجديد كما يتضح فيما يلي :

٣-١-١ النمو الذكي (Smart Growth) :

هو نظرية للتخطيط والنقل الحضري و تهدف لتركيز النمو فى مراكز المدن للحد من الامتدادات العشوائية ، وهو يتضمن العديد من قيم الاستدامة حيث يدعو للتنمية المدمجة والموجهة للنقل العام (TOD) ، واستعمالات الأراضي المختلطة والتي تراعى المشاة والدراجات والتنوع فى الخيارات السكنية. وهو يراعى قيم الاستدامة بعيدة المدى من خلال الاعتبارات الإقليمية التى يسعى لتحقيقها من خلال تحويل تيارات النمو المنتشر فى أطراف المدن وتركيزه فى مراكز المدن . ومن أبرز أهدافه تحقيق الحس المجتمعي والمكاني المتفرد ، وتوسيع خيارات النقل والعمالة والسكن، مع عدالة توزيع التكلفة والأرباح التنموية، و المحافظة على المصادر الطبيعية والثقافية ودعمها، علاوة على تحسين الصحة العامة للمجتمع ، وتتلخص مبادئ الاستدامة الأساسية التى يقوم عليها فكر النمو الذكي فيما يلي [٢٠] :

- الخلط فى استعمالات الأراضي .
- الاستفادة من تجميع المباني فى التصميم .
- خلق خيارات متعددة لأنماط الإسكان .
- خلق مجاورات سكنية تشجع حركة المشاة.
- تشجيع خلق مجتمعات جذابة وذات هوية.
- حماية الساحات والمناطق الطبيعية والحساسة.
- الحفاظ على المجتمعات المحلية والقائمة .
- توفير تنوع عالي فى خيارات وسائل النقل .
- أن تكون قرارات التنمية فيها عدالة ومتوقعة ومربحة.
- تشجيع المشاركة بين المجتمع والجهات الرسمية فى التنمية.

٣- ١-٢ العمران الجديد (New Urbanism) :

وهو حركة تصميم عمراني ظهرت فى الولايات المتحدة الأمريكية فى بدايات الثمانينيات من القرن ٢٠، وكانت تهدف إلى إصلاح حالة التنمية العقارية ، وتعتبر إعادة اكتشاف لقيم الاستدامة التى ميزت العمران التقليدي ، ووفقا لأبرز مؤسسي الحركة (Duany, A. & Zyberk, P.2003) فإن جوهر فكرة الحركة يقوم على تصميم المجاورات السكنية والتي يراعى فيها مبادئ الاستدامة الأساسية التالية:

- أن تضم مركزا واضحا كساحة رئيسية، ويتصل به محطة للنقل العام
- لا تزيد مسافة السير من أغلب المساكن إلى المركز عن خمسة دقائق ، أو ٤٠٠متر
- تحوى تنوع فى أنماط المساكن ، بحيث يجد جميع طبقات المجتمع سكن ملائم لهم
- أن يحيط بالمجاورة متاجر كافية لتوفير كافة الاحتياجات اليومية والأسبوعية للسكان
- يضم المسكن ملحق صغير فى الفناء الخلفي ، بحيث يمكن تأجيره اتخاذه كمكتب أو ورشة للإعمال الحرفية
- وجود مدرسة ابتدائية بحيث يسهل لكل الأطفال الوصول إليها سيرا على الأقدام

- وجود ملعب يسهل الوصول إليه من جميع المساكن
- تتصل الشوارع السكنية بما يسمح بتعدد أشكال الحركة داخل المجاورة وخارجها
- أن تكون الشوارع ضيقة نسبيا ومظللة بصفوف من الأشجار، مما يقلل من سرعة المرور، ويخلق بيئة ملائمة للمشاة والعجل
- يتم تصميم الساحات بحيث تشكل المباني المحيطة بها فراغ حضري أو غرفة خارجية
- لا تواجه الجراجات ومواقف السيارات الشوارع ، وإنما تقع خلف المباني والمساكن
- تخصص المواقع البارزة فى نهايات الشوارع أو فى الساحة المركزية للخدمات ، وللقاءات المجتمعية والخدمات التعليمية والدينية و الثقافية
- يتم إدارة المجاورة إدارة ذاتية، وتتولى جهة رسمية شئون الصيانة والأمن

٣- ٢ الاتجاهات الحديثة فى وسائل وتقنيات التخطيط

٣-٢-١ التخطيط الاستراتيجي للمؤسسات كأداة لتخطيط المدن المستدامة :

يتميز التخطيط الإستراتيجي بوجه عام بطبيعته الديناميكية المتواصلة ، وقد ظهر فى إدارة الشركات والمؤسسات الكبرى ، بحيث يتم التركيز فيه علي عملية وضع الاستراتيجيات واتخاذ القرارات الإستراتيجية للمؤسسة من خلال عملية التحليل الإستراتيجي (SWOT analysis) " بتحديد نقاط القوة والضعف داخل المؤسسة ، واستشفاف الفرص والمخاطر التنافسية خارج المؤسسة " ، ويستخدم فيه أيضا تحليل (PEST analysis) " أو تحليل التأثيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجيا على منتجات المؤسسة ". وهو يعنى بالرؤى المستقبلية والتي تترتب على إجابة ثلاثة أسئلة رئيسية هى : ماذا نفعل ؟ ، ولمن ؟ و كيف يمكن أن نتميز ؟ و فى أغلب المؤسسات تتبع تلك الرؤية لفترات تتراوح بين ١ : ٣ أعوام وقد تصل لفترة خمسة سنوات. فلتحديد مصير المؤسسة ، فإنها تحتاج لمعرفة أين تقع الآن ؟ وتحدد إلى أين تريد أن تكون، وكيف ستصل لتلك الغاية ؟ وما ينتج عن تلك العملية هو ما يطلق عليه "المخطط الاستراتيجي "[١٠]. وهو يقوم على تحديد ثلاثة عناصر رئيسية هى الرؤية (Vision) والمهمة (Mission) والقيم (Values) ، وقد تتم العملية من خلال رسم الخطة والنظر فيها ثم التفكر (Draw-See-Think) [٧].

٣-٢-٢ التخطيط الاستراتيجي للمدن كمدخل لتحقيق الاستدامة :

تطورت عمليات التخطيط وبرامج التنمية فى نهايات القرن نحو المرونة والحرية فى اتخاذ القرارات ، وذلك على النقيض من البدايات التسلطية للتخطيط الشامل أوائل القرن العشرين ، وكانت قد استهلت فى بدايات القرن بالمسقط الهندسي الكبير ، ثم تطورت نحو فكر التخطيط الشامل أو المخطط العام الجامد ، والذى تطور عنه المخطط الهيكلي لزيادة درجة المرونة والتحرر ، ثم جاء التخطيط الإستراتيجي متعدد السيناريوهات ليفسح المجال لتحقيق درجات عالية من المرونة والحرية فى اتخاذ القرارات التخطيطية وصياغة برامج التنمية العمرانية . كما ظهر التخطيط العمراني الاستراتيجي «SUP» (Strategic Urban Planning) بهدف تحديد النموذج العمراني الأمثل للمدينة ، والعمل لتحقيق ذلك الهدف من خلال تنسيق الجهود الرسمية والخاصة ، بالتواؤم مع المتغيرات المستحدثة وبما يحقق مبادئ الاستدامة من خلال التحسين الدائم للظروف المعيشية للمجتمع [١١] . وقد بدأ ظهوره فى نهايات القرن ٢٠ وخاصة عند تطبيقه على مدينة سان فرانسيسكو ١٩٨٤: ٨٢ للتعامل مع الأزمات التى تواجهها

المدينة. وتعتبر أسبانيا من ابرز الدول التى تتبني هذه المنهجية فى نحو مائة بلدية ، كنوع من وسائل المشاركة بين القطاع العام والخاص [٩] . كما ظهرت في الاتحاد الأوروبي منذ ١٩٩٠ آلية التقييم البيئي الاستراتيجي «SEA" (Strategic Environmental Assessment) وهي عملية دمج الاعتبارات البيئية فى السياسات والخطط والبرامج ، لتحقيق أهداف الاستدامة فى التخطيط للتنمية [١٤]

٣-٢-٣ التقنيات الحديثة كأداة لتخطيط المدن المستدامة : لا شك أن تطور التقنيات الحديثة فى الإدارة واتخاذ القرارات ، وفرت فرصا هائلة لعمليات تأسيس قواعد البيانات والمعلومات وربطها بالخرائط الرقمية من خلال نظم المعلومات الجغرافية "GIS" ، ونظم المعلومات الإدارية "MIS" ، وأصبحت تلك الوسائط وسيلة للاتصال والتحليل والتطوير ، كما سهلت وسائل الاستشعار عن بعد وخرائط (Google Earth) ، عمليات متابعة ومراقبة ورصد المتغيرات العمرانية ، وظهرت كذلك تقنية (Mash Ups) وهى دمج الوسائط البصرية والسمعية كالأفلام والصور والرسوم المتحركة وغيرها بالخرائط والمعلومات والبيانات . و مع تطور تقنيات الانترنت وانتشار استخدام الحاسب الآلي ، أصبحت هناك الفرصة متاحة لتحول عملية اتخاذ القرارات فى قضايا التخطيط العمراني من حالة السكون والجمود والفردية والوقتية التي سادت فى القرن ٢٠ إلي حالة عالية المرونة والديناميكية والاستدامة ، ومن قرارات فردية لمجموعة من المتخصصين ، إلي إمكانية المشاركة المجتمعية فى اتخاذ القرارات بصورة دائمة ، ومن اللحظية فى عملية اتخاذ القرارات ، إلي استدامة وتواصل عملية اتخاذ القرارات والمراقبة والتحليل والتقييم والمحاسبة والتطوير المستدام .

٤- قيم الاستدامة فى المخططات المعاصرة (حالة مدينة الرياض)

٤-١ تطور مدينة الرياض من التقليدية للمعاصرة (المبارك، ١٩٩٨):

ترجع نشأة الرياض القديمة لعام ١٨٢٤ عندما اختيرت كمقر للحكم، وقد تطورت على يد الملك عبد العزيز رحمه الله منذ عام ١٩٠٢ لتماثل المدن العربية التقليدية، من حيث اشتمالها على مسجد جامع وقصر للحكم وسوق ومبان سكنية. وكانت تتكون من سبعة « حلل « (أو أحياء) ، تعكس كل منها الخصائص الثقافية للمجموعات المتجانسة، والتي تجمعت فيها المنازل على أفنية داخلية رحبة تعمل على دعم القيم البيئية والاجتماعية والثقافية وفق الثوابت الدينية والأعراف والتقاليد . وقد قدرت مساحة المدينة فى عام ١٩١٩ بنحو ١٠٠ أكر تقريبا ، كما قدر عدد سكانها بحوالي ١٩ ألف نسمة . و نتيجة للنمو الاقتصادي وتزايد استيراد السيارات فى الأربعينيات والخمسينيات ، بدأ الاتجاه نحو اللامركزية العمرانية والامتداد فى الضواحي ، وخاصة عندما شيد الملك عبد العزيز فى عام ١٩٣٨ مجمع المربع كمركز للحكم والإدارة ، مع ربط الضاحية الملكية الجديدة بالبلدة القديمة بطريق مرصوف . ومع تزايد استعمال السيارات بدأ التوسع الأفقي للمدينة فى إتجاهات مختلفة من خلال نوي عمرانية هنا وهناك حددت نمط وشكل العمران لعدة عقود تالية . وجاء مجمع الناصرية وقت إنشاءه كمقر سكن للملك سعود ، نقلة جديدة فى النمط العمراني السائد ، حيث ظهر فيه شبكة الشوارع الفسيحة المستقيمة و المتعامدة . وتلي ذلك فى عام ١٩٥٣ تخطيط منطقة الملز كنموذج للأحياء الحديثة ، يضم الفيلات السكنية ومبنى البلدية ومكتبة عامة ومحطة دفاع مدني ، ومدارس وأسواق وخدمات ترويحية وصحية ، وأطلق عليها حينئذ « الرياض الجديدة «. وقد أتبع فى تخطيط منطقة الملز النمط الشبكي المتعامد ووحدات تخطيطية مستطيلة بمسطح ٥٠٠٠ متر مربع ، قسمت لقطع أراضي مستطيلة بعرض ٢٥ م وأطوال متفاوتة (٢٥ ، ٣٧ ، ٥٠ م) .

تلي ذلك مخطط دوكسيادس فى عام ١٩٧٣ والذى تضمن تنمية شاملة لاستعمالات الأرضي والبنية الأساسية ، مع توطيد النمط الشبكي كنموذج لشبكة الشوارع ، وتأكيد الفيلا كنموذج للسكن المفضل ، حتى أصبحا سويا النمط

السائد للتنمية العمرانية الجديدة ، وقد ترسخ التشكيل التكراري للنموذجين بصدور لوائح تنظيم الارتدادات . و تعتبر تلك المرحلة بداية الخروج عن مبادئ الاستدامة ، حيث ذهب دوكسيادس فى مخططه إلي حد تغريب البيئة التقليدية ، بفرضه نظما عمرانية مغايرة للقيم الاجتماعية والثقافية للسكان ، ومنافية كذلك للمتطلبات المناخية والبيئية لمدينة الرياض . وقد جاءت نظم تحديد المناطق والبناء الغربية بداية لفقدان الاستدامة فى المدينة حيث عملت كأداة لفصل الناس عن بعضهم وتصنيفهم فى أحياء سكنية حسب الدخل . ورغم إعداد المخطط ليغطي احتياجات النمو حتى عام ٢٠٠٠ ، إلا أن المضاربة على الأراضي ، أدت لتنامي ظاهرة الأراضي البيضاء المتخللة للكتلة العمرانية ، مما أفقد المدينة تواصلها العمراني الذي اشتهرت به المدن التقليدية المدمجة .

٤-٢ تطور عملية التخطيط العمراني بالرياض

مرت عملية تخطيط مدينة الرياض بعدة مراحل خلال القرن ٢٠ ، (المشعبى ،١٩٩٨) كما يتضح فيما يلي:

• **مرحلة الأنظمة واللوائح المبكرة** : وقد بدأت أوائل الثلاثينيات الميلادية من القرن٢٠ بصدور مجموعة من الأنظمة واللوائح ، مثل نظام أمانة العاصمة والبلديات عام ١٩٣٧ والذى حدد مهام البلديات ومسؤولياتها وخولها صلاحية وضع الأنظمة العمرانية ونظم تحديد المناطق واشتراطات البناء .

• **مرحلة التخطيط الشبكي** : باستحداث نمط التخطيط الشبكي للشوارع وقطعة الأرض المربعة للسكن مع الارتداد فيها من كافة الاتجاهات ، وخاصة فى منطقة الملز عام ١٩٥٣ لإسكان موظفي الدولة المنقولين من مكة للرياض.

• **مرحلة المخطط الإرشادي** : وقد بدأت بنهايات الستينيات بالاتفاق مع الاستشاري اليوناني دوكسيادس لإعداد مخطط إرشادي للرياض ، والذى تم اعتماده فى عام ١٩٧٣. وقام على التخطيط الشبكي ، والبلوكات السكنية وقطع أراضى القيلات والارتدادات من كافة الجهات .

• **مرحلة المخططات الإقليمية** : قامت الدولة بتأسيس وكالة وزارة الداخلية لشؤون البلديات عام ١٩٦٥ لمعالجة قضايا الخدمات البلدية التى نجمت عن النمو السريع ، وقد أستتبع ذلك التعاقد مع شركات استشارية لإعداد مخططات إقليمية للمدن الرئيسية ومنها الرياض .

• مرحلة المخططات التنفيذية للمناطق الحضرية : وجاءت بعد استحداث وزارة الشؤون البلدية والقروية ، وتحويل المديرية العامة للتخطيط العمراني إلى وكالة الوزارة لتخطيط المدن ، والتي قامت بالتعاون مع المكاتب الاستشارية فى عام ١٩٧٦ بإعداد مشروعات المخططات التنفيذية للمناطق الحضرية الكبرى ومنها مدينة الرياض .

• **مرحلة تحديد النطاق العمراني** : كلفت وزارة الشؤون البلدية والقروية فى عام ١٩٨٦ بإنجاز دراسات تحديد النطاق العمراني ، بهدف معالجة قضية الزحف العمراني خارج المدن وتزايد الاراضى البيضاء (غير المنماة) المخدومة بالشبكات داخل المدن مع صعوبة خدمة النمو العمراني المتناثر خارج المدن ، وقد أعتمد فى عام ١٩٨٩ .

• **مرحلة المخطط الاستراتيجي** : وهى المرحلة الأخيرة التى تتبناها الهيئة العليا لتطوير الرياض ، لتحقيق رؤية متكاملة ومستقبلية لعاصمة المملكة خلال ٥٠ عاما قادمة .

كما حلل (لينش ١٩٩٢) تجارب التخطيط العمراني التى تناولت مدينة الرياض خلال النصف الثاني من القرن٢٠ وفترات إعداد المخططات ، ومدى النطاق الزمني لتأثير تلك المخططات ، مما يوضح تعدد وتنوع وتكرار محاولات التخطيط وتراكب الفترات الزمنية لتلك المخططات كما يتضح فى جدول (١) :

جدول (١) تجارب التخطيط العمراني فى الرياض خلال النصف الثاني من القرن ٢٠

م	مراحل وأنوع المخططات العمرانية	فترة الإعداد	المدى الزمني لتأثير المخطط
١	مرحلة المخططات التوجيهية	١٠أعوام (٥٨- ١٩٦٨)	٢٠ : ٣٠ عاما
٢	مرحلة المخططات العامة	٧ أعوام (٦٨-١٩٧٥)	٢٠ : ٣٠عاما
٣	مرحلة المخططات الإرشادية	١٠ أعوام (٧٥-١٩٨٥)	٥ أعوام
٤	مرحلة إستراتيجية الاستيطان	عامان (٧٨- ١٩٨٠)	٣٠ عاما
٥	مرحلة الإستراتيجية الوطنية	٧ أعوام (٨٥-١٩٩٢)	٣٠ عاما



شكل (٢) الرؤية المستقبلية لتنمية مدينة الرياض

٤-٣ قيم الاستدامة[٤] فى المخطط الإستراتيجي للرياض

تعتبر مدينة الرياض واحدةً من أسرع مدن العالم نمواً حيث يبلغ عدد سكانها حوالي أربعة ملايين ونصف المليون نسمة وبمعدل نمو سكاني يبلغ ٨٪ سنوياً ٠ وتشير التوقعات بأن يصل عدد السكان إلى ١٠,٥ مليون نسمة في عام ١٤٤٢هـ ٠ تبلغ مساحة نطاقها العمراني المقترح حتى عام ١٤٤٢ هـ حوالي ٢١٣٠ كيلو متراً مربعاً، وتصل مساحتها المطورة حالياً إلى حوالي ٩٥٠ كيلو متر مربع ، مما تطلب وضع مخطط استراتيجي شامل يواكب النمو السريع ويحقق احتياجات المدينة، ويكون مظلة رئيسية للدراسات والخطط والأفكار والتصورات المتعلقة بتطوير وتنمية مدينة الرياض خلال ٥٠ عاما . ولقد تمت صياغة الرؤية المستقبلية شكل (٢) فى ستة عناصر متداخلة فيما بينها لتوضح تداخل تلك العناصر وعلاقتها المستدامة ، بينما تمثل علاقة الإنسان بخالقه عز وجل وعلاقته بأخيه الإنسان وعلاقته بالطبيعة العنصر الذي يربط العناصر الستة الأخرى ويحيط ذلك جميعا الإطار العام والذي يتمثل في تحقيق مبدأ الاستدامة في تخطيط وبناء مدينة المستقبل وفق المبادئ الإسلامية.

• **عاصمة المملكة:** مركز دولي للمؤسسات الدولية والإسلامية والإقليمية السياسية والاقتصادية... مركز وطني قيادي للمؤسسات والهيئات الوطنية الإدارية والاقتصادية... تنمية حضرية نموذجية يحتذي بها على المستوى الوطني والإقليمي في مجال التخطيط الاستراتيجي والتنمية الشاملة... مركز وطني للوظائف والمؤسسات الثقافية والتاريخية... نموذج عالمي للتنمية الحضرية المعاصرة لعاصمة وطنية في قلب الصحراء.

• **مدينة إنسانية:** مدينة توفر الفرص الوظيفية لجميع فئات المجتمع ، بحيث تشمل جميع المستويات الاجتماعية و بمختلف أجناسهم ... مدينة توفر مستويات حياة مرتفعة لرفاهية جميع المواطنين... مدينة تحقق توفير فرص متساوية في الحصول على متطلبات العيش الرغيد، والمسكن المناسب والمرافق والخدمات العامة والمنافع البيئية... مدينة تتيح فرص الاتصال والانتقال الآمن على جميع المستويات العمرانية لمختلف فئات المجتمع. .. مدينة تحقق للسكان السلامة والأمن والتميز في ذلك عالمياً... مدينة تحقق للسكان حرية الاختيار للأنماط المعيشية المناسبة (الموقع، نظام البناء، البيئة العمرانية المناسبة...الخ) ضمن القيم والآداب الإسلامية... مدينة تعكس المشاركة

الفعالة للسكان وتحفز مسئوليتهم تجاه مواضيع التنمية في الأحياء والمناطق العمرانية و تسمح للسكان بالتحكم بشؤون مجتمعهم بصورة اكبر... مدينة تمكن فئات المجتمع من التحقيق الذاتي الدائم بالنسبة للعمل و السلامة و الآمن و الخدمات و المرافق العامة و التطور الثقافي و الترفيه... مدينة تشجع على إقامة علاقة أفضل قوة بين سكانها وبيئتهم عن طريق توجيه التخطيط العمراني لتسهيل حصول المواطنين على احتياجاتهم الأساسية من الأمن والسلامة والخصوصية والمرونة الاجتماعية والترفيهية وكذلك النواحي الجمالية... مدينة يتم تنظيم شكلها العمراني بما يتماشى مع المبادئ الإسلامية التي تقضي بتوحيد فئات المجتمع في مجتمعات متماسكة حتى ولو كانت متنوعة.

• **واحةٌ معاصرة** : تسخر الفرص المتاحة لتنمية عمرانية في قلب الصحراء أخذة في الاعتبار جميع المعوقات التي قد تعترض ذلك... تفعيل أحدث الأنظمة والاشتراطات البيئية لتحقيق نمو فعال و مؤثر قادرا علي الحد من التأثيرات السلبية للتنمية على المستوى الإقليمي والوطني... تشجيع الاستثمار والابتكار في مجالات تقنيات الطاقة المستديمة واستخداماتها في تنمية العاصمة... تحقيق أعلى المستويات في الترشيد والاقتصاد في استهلاك المياه وإعادة استعمالها من خلال تطبيق أنظمة متطورة في مجالات نقل المياه، واستخدامها وتصريفها ومعالجتها في المدينة... تحقيق مستويات مرتفعة في تطوير الأنظمة والتقنية البيئية وتصديرها مما يحقق مصدراً نامياً للدخل وفرص وظيفية ... خالية من التلوث وسلبيات التطوير البيئي الحضري... تفعيل العلاقة بين السكان وبيئتهم وتوفر التوافق بين حياة السكان وأنشطتهم والمكان الذي يعيشون فيه، بطريقة تحمي وتصون المقومات الصحراوية الطبيعية و تحافظ على جمالها... تحدد تماما الوظائف والأدوار والأولويات والروابط بين المساكن والحي والمدينة في بيئة عمرانية تلبي الغرض المنشود.

• **مركزٌ مالي وتجاري** : تنمية تتوافق وتتكامل مع السياسات والاستراتيجيات الاقتصادية والعمرانية على المستوى الوطني والإقليمي...اجتذاب المزيد من الاستثمارات الخاصة ومصادر التوظيف من خلال توفير شبكة متكاملة ومحدثة من الخدمات والمرافق المساندة لمركز مالي وتجاري دولي... توفير بيئة مشجعة من الأنظمة والتشريعات المرنة لدعم استثمارات القطاع الخاص والتوظيف...زيادة مستمرة وثابتة في معدلات الاستثمار والتوظيف في مجالات الخدمات المالية والتجارية... حفز فرص الاختيار والمنافسة للقطاع الخاص في تحديد طبيعة ومواقع الاستثمار في التنمية والتوظيف في مختلف مناطق المدينة... توظيف ورفع مستوى الإمكانيات المتاحة من الموارد البشرية ، و بخاصة القوى العاملة السعودية.

• **مدينةٌ جميلةٌ** : تعكس الثقافة الإسلامية المحلية وتطور الطابع والشخصية العمرانية التي تتناسب مع عاصمة المملكة ... المحافظة والتعامل مع المظاهر الطبيعية والخصائص البيئية وتعبر عنها ... تحقق انسجام عمراني يتضح من خلال توزيع متناسق وعملي ووظيفي للمناطق العمرانية وعناصرها ، وبما يسهل من قراءة وفهم المكان وسهولة الانتقال على المستويين المحلي والحضري... توفر التنوع المكاني على المستويات العمرانية للأنشطة الاجتماعية والمناسبات العامة والاحتفالات، وجعلها من ضمن هيكل المدينة العمراني وجزءً من حياة السكان... تحقق بيئة عمرانية جيدة من خلال توفير ممرات مشاة آمنة ومحببة توفر المناخ المناسب وتقلل من مسببات الإزعاج (مثل الرؤية، الضوضاء، التلوث)... تطبق أفضل مستويات التصميم المعماري والعمراني في تصميم الأماكن العامة والخاصة بما يحسن من مكانة العاصمة... تحقق الاستمرارية والتنوع في الطرز المعمارية المحلية وتؤكد الرموز الثقافية والعناصر التاريخية في البيئة المبنية على المستوى المعماري والعمراني (سلسلة من الفراغات العامة ترتبط بشبكة مشاة آمنة وجميلة) وتستوعب ما يستجد من اتجاهات التنمية المعاصرة كل ذلك في تخطيط عمراني يحقق شكلاً مترابطاً عالي الجودة ... مدينة ذات بيئة عملية وجذابة تشجع السكان على توسعة أنشطتهم خارج مساكنهم على مستوى الأحياء والمدينة... مدينة يتوفر بها عدد كبير من الأماكن الترفيهية في صورة منتزهات عامة ومحميات طبيعية (وادي حنيفة).

• **مركز إشعاع:** رائدة في المجالات التعليمية والصحية وعلى اتصال بشبكات عالمية لدعم البحث والتطوير والابتكار... تستثمر في البحث العلمي والتقني والابتكار في مجالات الطاقة والمناطق الصحراوية... تطبق نماذج في التصميم والتخطيط والتنمية العمرانية التي تجسد أفضل تطبيقات الإدارة البيئية باستخدام دراسات مبتكرة محليا في مجالات الدراسات التقنية.

٥- النتائج والتوصيات : نحو مدخل للتخطيط المستدام

٥-١ المناقشة

كان تخطيط المدن حتى نهايات القرن ١٩ يركز على شكل المدينة وعمارتها والأعمال الهندسية للبلديات ، ومنذ تطور مفهوم التخطيط الشامل في بدايات القرن٢٠ و حتى بدايات التسعينيات من القرن ٢٠ ، سيطرت على المهنة نماذج جامدة من المخططات العامة والهيكلية والتي جسدت مفاهيم التكنوقراطية والبيروقراطية (Technocracy, Bureaucracy) فيما اتسمت بالجمود والشمولية (Comprehensiveness) . و منذ بدايات التسعينيات زاد الاهتمام بإدارة العمران وخاصة فيما يتعلق بمفاهيم المشاركة والشفافية والمرونة (Participatory, transparency, and flexibility) علاوة على الأبعاد الإستراتيجية لعملية التنمية. وأخذت إدارة العمران بدورها مكانة المخططات العامة والهيكلية التقليدية على المستويات الكبيرة بالمدن، مع زيادة دور المعماري والمصمم العمراني فى المستويات التفصيلية . وبالرغم من الإيجابيات التى كانت تسعى لتحقيقها المخططات الشاملة من حيث السيطرة والضبط لعملية النمو ، إلا أنها تضمنت العديد من السلبيات التى تتطلب تحريرها من الجمود والتسلط والنظرة الكلية الذي تسعى لتحقيقه ، ولعل من أبرز سلبيات عملية التخطيط التى أمكن رصدها خلال القرن الماضي والتي قللت من فرص الاستدامة فى العمران مايلى :

١. عدم قدرة أساليب التخطيط السائدة على تلبية احتياجات الاستدامة على مستوي التصميم العمراني التفصيلي ، لما تحويه اللوائح التنظيمية من تحديد صارم لجملة استعمالات الأراضي ، والتماثل فى تحديد أحجام المباني وارتفاعاتها وطابعها ، بينما يتجه العالم منذ أواخر القرن ٢٠ نحو الخلط فى استعمالات الأراضي ، والتنوع فى أنماط المباني ، وزيادة درجة الاتصالية بين الأنشطة أكثر منها للانفصالية التى سيطرت على أشكال التنمية فى القرن الماضي . فالاتجاهات المعاصرة لعملية الاستدامة تسعى فى أغلبها لتحقيق أعلى درجات التنوع (Heterogeneity) بدلا من التماثل والتوافق (Homogeneity) الذي كانت تهدف إليه المخططات الشاملة في العصر الماضي .

٢.أدت المغالاة في التشريعات واللوائح لحدوث نوعا من الإحباط والتثبيط لقوى السوق وزيادة أسعار الأراضي ، وكان تأثيرها السلبي شبيها بندرة التشريعات واللوائح والتي تؤدي لاحتكارات السوق المفتوح ويترتب عليها التدهور المستمر فى البيئة .

٣.عدم قدرة اللوائح التنظيمية للعمران على فرض النفوذ التشريعي فى الوصول لبيئة مستدامة وإنسانية وجذابة وجميلة ، حيث تتعامل تلك اللوائح بشكل افتراضي ومن خلال مسطحات كبيرة نسبيا ، وبطريقة فوقية وبعيدة المدى ، يغلب عليها طابع كمي أكثر منه نوعى ، ولاشك أن تلك المحصلة جاءت نتيجة للاستغراق فى النظر لعملية التخطيط العمراني باعتبارها فقط عملية تبدأ من أعلي إلي أسفل (Top- Down) ، وهو الاتجاه الذي يفرضه أسلوب البحث عن حلول للمشاكل الكمية مثل قضايا النمو السكاني وتوفير المساكن والخدمات والمرافق ووسائل النقل وغيرها . بينما لا يمكن تحقيق قيم الاستدامة فى المجتمعات الإنسانية بدون النظر لطبيعتها كمنظومة إيكولوجية

(Ecosystem) دائمة التفاعل والتحول و التحور، مما يتطلب العودة لآلية تخطيط وبناء المجتمعات التقليدية قبل العصر الصناعي والتي تزامنت فيها عملية علاج المشكلات البنائية مع مستجدات الحياة اليومية للمجتمع ، واتسمت عملية التخطيط بالنظر من أسفل لأعلي (Bottom-Up) ، مما كان يترتب عليه تحقيق قيم مضافة لكل مبادرة تنموية يحققها المجتمع ، وبما يعود بالنفع على تحسين صورة البيئة المبنية ، وتصميم المسارات والفراغات و المتنزهات وغيرها فى صورة إنسانية أكثر تواصلا واستدامة مع البيئة المحيطة.

٤. سيطرة الفكر التخطيطي ثنائي الأبعاد (Two Dimensional) على صياغة عملية تخطيط المدينة وتصنيف وتحديد استعمالات الاراضى بها ، فى صورة محدودة التنوع فى الاستخدامات والوظائف الحضرية ، وهو الاتجاه الذي تناقضه أغلب التيارات التخطيطية المعاصرة الداعية لمبدأ الاستدامة ، والتي تسعى لتحقيق أكبر قدر من التباين والخلط فى استعمالات الاراضى .

٥.ظل دور المخطط العمراني فى القرن الماضي دورا أحاديا ، يسعى لوضع الحلول للمشكلات التى تبدو ظاهرة له فى فترة إعداد المخططات،ولاشك أن تلك النظرة الكلية والفوقية واللحظية، تفتقد للكثير من الإيجابيات التى يسعى لتحقيقها الفكر المثالي فى تحقيق قيم الاستدامة فى المجتمعات، حيث ترتكز على مجموعة من الخصائص أبرزها النظرة الكمية من أعلى إلى أسفل ، ولحظية اتخاذ القرارات التخطيطية ، وانتهاء الدور الرئيسي للمخطط بمجرد انتهاء عمل المخططات .

وقد حاول البحث فيما سبق الوصول لتحديد مواطن الضعف والأسباب الفعلية وراء قصور أساليب التخطيط التقليدية السائدة فى القرن ٢٠ والتي كانت من العوامل المؤثرة فى فقدان المدينة لقيم الاستدامة المستهدفة ، نتيجة لعدة أسباب لعل أبرزها هو الطبيعة غير التأكيدية (Uncertainty) لنمو المدينة كمنظومة ايكولوجية مع فقدان الأشكال المتباينة للمخططات لدرجة كافية من المرونة والشفافية المستقبلية اللازمة لعمليات التطوير المستمر . لذلك يؤكد البحث على فكرة التعامل مع المدينة كمنظومة إيكولوجيا دائمة التجدد والتطور ، وأن السبيل لذلك هو مبدأ « استدامة عملية التخطيط» كبديل للإشكال التقليدية للمخططات، ويرتكز مبدأ استدامة العملية التخطيطية على فكرة تطوير نظم الإدارة واتخاذ القرار ودعمها بالتقنيات الحديثة ، بحيث تتواصل عملية التخطيط وتتوازى مع عملية تنمية وبناء وتطوير المدن .

٥- ٢ النتائج

باعتبار الجمود والانضباط الزائد « أو الحاكمية الفردية والوقتية للمخطط العمراني « كانت هى السمة الرئيسية للتخطيط العمراني فى القرن الماضي والذى نتج عن تغييب البعد الإنساني الإبداعي ، وتغليب المنطق الحسابي الميكانيكي على كافة عمليات التنمية العمرانية خلال أغلب الممارسات التخطيطية ، فالنتيجة الرئيسية التى ينتهي إليها البحث لتحقيق قيم الاستدامة هو النظر للتخطيط العمراني باعتباره عملية عالية الحرية والحيوية والاستدامة ، بحيث تتميز بالتحرر من القيود و تميل للمنعطفات الإنسانية الإبداعية مثلما كان يحدث فى العمارة العفوية والمجتمعات التقليدية . ولتحقيق ذلك الهدف يقترح البحث «**مبدأ التخطيط المستدام**» كإطار إداري عال المرونة يستخدم فيه أحدث وسائل التقنية الرقمية ، وتتحدد فيه الرؤية الإستراتيجية والتي يتم تقيمها وتطويرها بشكل متواصل ، وتتشارك في صياغتها كافة فئات المجتمع المدني من خلال الاتصالية المعلوماتية للمشاركة فى اقتراح واتخاذ القرارات ومراجعتها وتقيمها . وتقوم فكرته الرئيسية على مبدأ أن المدينة المستدامة فقط هى تلك التى يتعامل معها المخطط العمراني كمنظومة إيكولوجية حيوية ذات هوية خاصة تظل فى حالة دائمة من التفاعل والتطور والتحول والتبلور ، وهي تلك التى يطبق فيها مبدأ « طالما تعمل دعها تسير «(Laissez-faire Approach) لذلك فإن استدامة عملية التخطيط العمراني هى السبيل الأمثل للوصول للمدينة المستدامة . والآلية المقترحة لتنفيذ ذلك

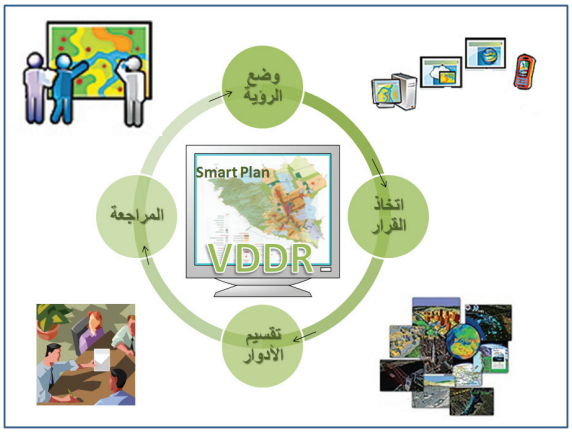
يمكن تلخيصها فى النقاط التالية :

١. التخطيط العمراني الاستراتيجي متعدد السيناريوهات الافتراضية (Virtual Scenarios) هو الإطار الأمثل لتحقيق مبدأ الاستدامة التخطيطية لما يتسم به من مرونة عالية فى اتخاذ القرارات وتقيمها وتطويرها ، ويقترح أن يمر بمنظومة تتابعيه من أربعة مراحل هى وضع الرؤية مرتبة الأولويات (Vision) ثم اتخاذ القرار (Decision) ثم تقسيم الأدوار(Division) وأخيرا المراجعة (Revision) ، لتبدأ عملية تطوير الرؤية وتتتابع نفس الخطوات فى صورة مستدامة ، فيما يمكن تلخيصه اصطلاحا فى (VDDR) . كما يتضح فى شكل (٣).

٢. المخطط الذكي (Smart Plan) هو المنتج الرئيس الذي يعمل على تطويره المخطط العمراني ، بديلا لخرائط استعمالات الاراضى التقليدية الجامدة ، وهو شكل المنتج الذي يطوره المخطط بصورة دائمة . ويقصد بالمخطط الذكي أنه لوحة تفاعلية دائمة التطور وهي مرتبطة بقاعدة معلومات وبيانات شاملة لكل مفردات وعناصر تخطيط المدينة (البيئية والعمرانية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها) والتي ترتبط فيما بينها ببرنامج كمبيوتر خاص يتم تصميمه بحيث يحدد المحاذير (Precautions) و التعارضات (Contradictions) التى لا يجب الوقوع فيها ونقاط القوة والضعف والفرص والمخاطر التى قد تنتج عن القرارات التخطيطية ، والضوابط العامة والتفصيلية عالية المرونة التى يجب مراعاتها والتي تضم الحدود الدنيا والقصوى فقط (Bottom & Ceiling Lines) لأي إضافة تنموية مثل معدل النسبة الطابقية (Floor Area Ratio) ، كما يتميز المخطط الذكي بقدرته على عملية المحاكاة (Simulation) لتسهيل عملية تقييم القرارات وخاصة فيما يتعلق بالقضايا الكمية كالنقل والمرور والمرافق والخدمات والاحتياجات المكانية وغيرها .

٣. استدامة المشاركة المجتمعية والشراكة بين القطاع الخاص والأجهزة الرسمية فى عملية اتخاذ القرارات من خلال الاتصالية العالية بالمخطط الذكي عن طريق الانترنت والتقنيات ووسائل الاتصال الحديثة ، وبحيث يتوفر فى المخطط درجة عالية من الشفافية مع تعدد وسائل طرح الرؤى والأفكار والاعتراضات من وسائل سمعية وبصرية وغيرها.

٤. يتحول دور المخطط العمراني إلى حالة أكثر ديناميكية وتفاعلا وتواصلا مع قضايا المجتمع ، بعدما كان دوره الرئيسي ينتهي فى السابق بعد الانتهاء من إعداد للمخططات ، كما يأخذ المعماري و المصمم العمراني دورا تفاعليا أكثر تأثيرا فى تشكيل البيئة المبنية وتحقيق قيم الاستدامة المستهدفة.



شكل (٣) منظومة التخطيط المستدام

٥-٣ التوصيات

بناء على ما سبق طرحه ، وحتى يؤتى المدخل المقترح ثماره فى تحقيق قيم الاستدامة فى مدينة القرن ٢١ ، فيمكن تقديم التوصيات التالية :

- تطوير دور واختصاصات وتقنيات الأجهزة المسئولة عن عملية التنمية العمرانية المستدامة ، بحيث تصبح أكثر تفاعلا مع الرؤى والأفكار المتجددة ، مع قدرتها على الاستفادة من التواصل الدائم مع المجتمع المدني والقطاع الخاص .
- تطوير برامج التعليم العمراني بحيث تقوم بتأهيل المخططين من ذوى القدرات والإمكانات الإبداعية على المستويات التفصيلية والإستراتيجية ، مع تنمية قدرات المخطط فى استخدامات الوسائل التقنية المتطورة اللازمة لتطبيقات البرمجة الالكترونية لعملية التخطيط.
- توجيه البحوث العلمية فى المراحل التالية نحو تفعيل دور الوسائل التقنية المتطورة فى عملية التخطيط المستدام .

٥-٤ الأطروحات المستقبلية

ويطرح البحث فى النهاية عدة تساؤلات تعتبر مدخلا للعديد من البحوث والدراسات النظرية والتطبيقية التى تؤكد وتفعل تطبيق المبدأ المقترح فى مدينة القرن ٢١ كما يلي :

- هل يستمر التعليم فى مدارس التخطيط العمراني فى إعداد وتأهيل المخططين بنفس فكر وأساليب ونظريات التعليم السائدة فى القرن ٢٠؟ أم أن هناك ضرورة ملحة لتطوير مناهج التعليم العمراني ، لتأهيل المخطط العمراني من ذوي القدرة علي صياغة الرؤى الإستراتيجية وتطبيقاتها التفصيلية بصورة مستمرة من خلال الوسائل التقنية الحديثة.
- ما هى مواصفات التقنية الأكثر ملائمة لتفعيل مبدأ الاستدامة فى عملية التخطيط ؟ و ما هو توصيف دور المخطط العمراني وموقعه فى منظومة اتخاذ القرارات التنموية ؟ و ما هى الآلية الملائمة لتنسيق تداخل الأدوار مابين القطاع الخاص وأصحاب المصالح والمجتمع المدني والأجهزة الرسمية المتباينة التى تعنى بعملية التطوير؟
- والسؤال الأبرز الذي ينتهي إليه البحث هو : إذا كان التخطيط بحكم طبيعته ومركزيته وميله المطلق للضبط والتحكم يقاوم الأمور النسبية والحرية والتحرر الإبداعي ، وإذا كنا نؤمن بقاعدة أن اللوائح والقوانين لا تؤدى لعمل إبداعي أو فنون راقية وأصيلة ، وإنما العمل الفني الخلاق هو مايستنبط منه اللوائح والقوانين ، فهل يتحرر الفكر التخطيطي من جموده ليحقق أقصي درجات الاستدامة و ليترك العمران للتفتح كعمل إبداعي خلاق، بحيث لا يبدأ به المخطط العمراني ، ولا يحاول الوصول إليه ، وإنما ينتهي عنده ؟

المراجع:

(١) أكبر عبد القادر جميل (٢٠٠٥): عمارة الأرض في الإسلام – مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان

(٢) المبارك فيصل (١٩٩٨) : دور الدولة فى تشكيل الأنماط العمرانية – فى : صالح الهذلول ، نارايانان ايدادان (١٤١٩ هـ) التنمية العمرانية في المملكة العربية السعودية – الفرص والتحديات – دار السهن – ص ص (٣٣٢- ٣٤١)

(٣) المشعبى عمر عوض (١٩٩٨): الإطار المؤسسي لتخطيط التنمية العمرانية – فى : صالح الهذلول ، نارايانان ايدادان (١٤١٩ هـ) التنمية العمرانية في المملكة العربية السعودية – الفرص والتحديات – دار السهن – ص ص (٧٦ – ٩٠)

(٤) الهيئـة العليـا لتطويـر مدينة الريـاض (١٤٢٢): ورقة عمل مقدمة من الهيئـة العليا لتطوير مدينـة الريـاض لندوة مدن المستقبل - التخطيط لمستقبل المدن الكبرى - الرؤية المستقبلية لمدينة الرياض – ٢٥-٢٧ شعبان ١٤٢٢ هـ

(٥) لينش ادوارد (١٩٩٨) : تجارب التخطيط العمراني – فى : صالح الهذلول ، نارايانان ايدادان (١٤١٩ هـ) التنمية العمرانية في المملكة العربية السعودية – الفرص والتحديات – دار السهن – ص ص (٣٣٢- ٣٤١)

(6) Adams, W.M. (22 May 2006). "The Future of Sustainability: Re-thinking Environment and Development in the Twenty-first Century." Report of the IUCN Renowned Thinkers Meeting, 2931- January, 2006- Retrieved on 200916-02-

(7) Allison, Michael and Kaye, Jude (2005): "Strategic Planning for Nonprofit Organizations" Second Edition ,John Wiley and Sons.

(8) Bess, Philip (2003): Civic Art and the City of God: Traditional Urban Design and Christian Evangelism, Journal of Markets and Morality, Volume 6, Number 1

(9) Borja, y. Castells, M. (1998): "Local y Global", EURE, Santiago, v.24 n. 73 Dec. 2008, in http://www.enfopedia.com/index.php?title=Strategic_Urban_Plannin

(10) Burkhart, Patrick L. and Reuss, Suzanne (1993): "Successful Strategic Planning: A Guide for Nonprofit Agencies and Organizations." Newbury Park: Sage Publications

(11) Casas, G. & Mallarach Isern, M. (2003) "Planificació estratégica territorial a Catalunya", in http://www.enfopedia.com/index.php?title=Strategic_Urban_Plannin

(12) Costanza R. (2003): Early History of Ecological Economics and ISEE, Internet Encyclopedia of Ecological Economics

(13) Duany, Andres; Plater-Zyberk, Elizabeth; & Alminana, Robert (2003). The New Civic Art: Elements of Town Planning. New York: Rizzoli Publications.

(14) Hannemann, Antje (2008): Strategic Urban Planning & Municipal Governance, Vdm Verlag Dr. Muller Aktiengesellschaft & Co. Kg

(15) Hume, Christopher (2008): The end of planning? Just maybe, a Column in thestar.com, Oct 11, 2008 http://www.thestar.com/opinion/columnists/94609

(16) IUCN/UNEP/WWF (1991): Caring for the Earth: A Strategy for Sustainable Living. Gland, Switzerland, |IUCN - The World Conservation Union, UNEP - United Nations Environment Programme, WWF - World Wide Fund for Nature

(17) Jacobs, Jane (1961): The Death and Life of Great American Cities, New York: Random House

(18) Krier L., 1998: Architecture Choice or Fate, Andreas Papadakis Publisher

(19) Regional Ecosystem Office (U.S) REO Information Center Definitions: Northwest Forest Plan (NWFP) definition of sustainability, http://www.reo.gov/general/definitions_r-s.htm#S

(20) Smart growth : http://www.epa.gov/smartgrowth/about_sg.htm

(21) The Earth Charter, earth charterinaction.org, October 4, 2000, retrieved February 9, 2009

(22) The Work of GIS Professionals and Evolving GIS Technology: http://www.esri.com/index.html

(23) Tool Assisted Mashups: http://blogs.zdnet.com/Hinchcliffe/?p=106

(24) Wheeler Stephen (1998): “Planning Sustainable and Livable Cities”, Routledge, New York

(25) World Commission on Environment and Development, http://en.wikipedia.org/wiki/Brundtland_Commission



Sustainable Planning as an Approach to face the accelerated changes in 21st Century City – (ArRiyadh Case Study)

Dr. Mohsen Salah-Eldin Youssef

Department of Urban Planning
College of Architecture and planning
King Saud University
e.mail: drmohsen08@gmail.Com

Abstract

According to the challenges and variables facing the 21st century City, the issue of sustainability become one of the top priorities in most urban planning practices. This research assume that the recent traditional planning methods and tools which are rigid and lack flexibility needs to be substituted, and it is time to fetch for a more adaptable method to overcome the deficiencies of rigid plans. The significance of the research comes from the lack of a powerful and flexible tool to overcome the problems and deficiencies facing the City in the 21st. The evolution of planning tools through the 20th century proved that the planning process should encompass a sense of durability and recyclability which does not fulfilled by fixed development guidelines in traditional plans. In that sense the research discusses and illustrates an adaptable open ended framework called "sustainable planning" aiming to fill the gaps between different scales and specializations and to overcome the deficiencies raised in recent planning tools. The research starts by defining the values of sustainability appeared in traditional planning before the industrial revolution, tracing the anti sustainability trends in recent planning practices. Comparing the sustainability values appeared in new trends such as smart growth, new urbanism and strategic planning, figuring out the impact and benefits of newly introduced techniques. And finally it draws and determines some principles to overcome the problem.